

المحاكاة والضعف الذي كان يخشى منه على هذا الشعر إذا زال السلطان الرسمي للأمير، ورجع الأمر إلى الشعر وحده؛ فكانت الثورة عاملاً مساعداً له على الفحولة والإجادة؛ لا جرم أن نفيه إلى أسبانيا في أثناء الحرب الكبرى هز شاعريته هزاً؛ ولكنني أجزم بأنه لو لم تسعده الثورة على المضي في اتجاه هذه الهزة، لطلق الشعر باتاً، كما طلقه المرحوم حافظ حينما استمرأ العيش في ظلال الخدمة، فأمعن في الحرص عليها! تقرأ لشوقي في نهج البردة:

لما رنا حدثتني النفس قائلة *** يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمى!

حدثتها وكتمت السهم في كبدى *** جرح الأحبة عندي غير ذى ألم

والبيت الأول أسلوبه ضعيف، ومعناه فاسد؛ فقائلة كلمة ضائعة، والموضع ليس لحديث النفس الذي يصدق ويكذب، وقد عاد إلى هذا المعنى بعد ذلك فأجاد فذلك حيث يقول:

بروحى البانُ يوم رنا *** عن المقدور أعْصَمُهُ

رَمَى، فاستَهْدَفَتْ كبدى *** برى الرامى وأسهمُهُ!

وشر البيت الثانى من البيتين الأولين، ليس في وضعه الطبيعي أيضاً، ويقول في نهج البردة أيضاً:

يا رب هبت شعوب من منيتها *** واستيقظت أمم من رقدة العدم

سعد ونحس وملك أنت مالكة *** تدل من نعم فيه ومن نقم

رأى قضاؤك فيه رأى حكمته *** أكرم بوجهك من قاض ومنتقم

فالطف لأجل رسول العالمين بنا *** ولا تزد قومه خسفا ولا تسم

يا رب أحسنت بدء المسلمين به *** فتمم الفضل وامنح حسن مختتم

وأسلوب البيت الأول رداء، فإنه لا يقال: هب فلان من منيته إلا بمجاز سخيف، ومعنى الشرط

الثانى تكرير لمعنى الشرط الأول؛ وكلاهما موت في موت